

ابن دريد وأعماله الأدبية Ibn Durid and his Literary Works

Muhammad Rafiq

PhD Scholar of Arabic, BZU Multan, PK

Dr. Hafiz Muhammad Sarwar

Assistant Professor Department of Arabic, BZU Multan, PK

Abstract

Ibn Durid was born in Basra in 223 Hijri. He got grammatical education and basic knowledge from Ibn-e-Akhi-Al-Isbae, Al-Sijstani and Al-Riyashi. He was one of the best scholars of literature, genealogy and lexicography. He was also the great poet of his time. He wrote many books and most of his books are mentioned in Al-Fahrist which is written by Ibn-e-Nadeem. His famous books are Al-Maqsurah, Al-Jamhrat-ul-Lugha, Kitab-ul-Ishtaqaq, Siffa-Tul-Sarj Wal-Lajam, Kitab-ul-Melahan and Kitab-ul-Mujtaba. He went to Oman from Basra and stayed there twelve years. During this period he gained knowledge of Arabic language and poetry. Then he went to Iran. There he met to the sons of Shah Mikal who were the governors of Persia. After this he wrote his book Jamahrat-ul-llugah and Al-Maqsurah in praised of shah Mekal's sons. Ibn-e-Durid had a stroke at his last age, so he died in 321 Hijri.

Keywords: Ibn Durid, Al-Maqsurah, Jamahrat-ul-llugah, Kitab-ul-Ishtaqaq, Siffa-Tul-Sarj wal-Lajam, Kitab-ul-Melahan, Kitab-ul-Mujtaba

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ﷺ جعله الله تعالى خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم، أما بعد! كان ابن دريد عالماً وأديباً كبيراً، شاعراً ولغويًا عظيمًا وقائدًا للعلماء وقادراً على حفظ اللغة والنسب. نال ابن دريد شهرة واسعة بعلمه



وفكره، وبلغ مكانة عالية في اللغة العربية. منذ أن أشرقت الشمس التأليف في العالم العربي، جرابن دريد كوكبه إلى مجرة هذه الأقمار والسعادة والثروة في ترتيب الخاص. يعد ابن دريد من أبرز اللغويين ومصنفي المعجمات، ترك ابن دريد تراثاً لغوياً وأدبياً غنياً لأعماله، وهي كثيرة ومتنوعة تنوع ثقافته، صنّف ابن دريد أكثر من عشرين مصنفاً، ضاع قسم منها، ووصل بعضها، ووصلنا من عدة أعمال الأدبية في مجالات المختلفة: بالشعر واللغة والأنساب وعلوم القرآن.

نسبه ونشأته

الإمام العلامة اللغوي النحوي الشافعي ابن دريد، وهو أبو بكر "محمد بن الحسن بن دُرَيْد بن عتاهية بن حَنْتَم بن حاضر بن جشم بن ظالم بن أسد بن عدي بن مالك بن فهم بن غَنَم بن دَوْس بن عُذنان بن عبد الله بن زهير، ويقال زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان"،¹ ويُدعى أيضاً "محمد بن الحسن بن دريد بن عطية".² استشهد باسمه ابن دريد، ويُعد ابن دريد من أبرز اللغويين ومصنفي المعجمات، ومن المتقدمين في حفظ اللغة، أشعار العرب والأنساب، وكان رأس أهل العلم، وهو الإمام، اللغوي، الاخباري، الشاعر وإمام الأمصار في ذلك الوقت. وعُرفت أسرته "الأزدي".³ وقبيلته هي من العُسر من زعماء عُمان. إنه جاء إلى البصرة من قومه الذين أتوا بعد قيام البصرة في بداية الإسلام وجعلها موطنه حتى سميت البصرة ببصرة الأزدي، قال الشاعر "الشريف المرتضي"⁴:

"فَبَصْرَةُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا *** وَالْمَوْصِلَانِ، وَمِنَّا مِصْرُ وَالْحَرَمُ"⁵

ولد ابن دريد بالبصرة في سكة صالح سنة ٢٢٣ هـ في خلافة "المعتصم بالله"،⁶ ويقول الدكتور عبد الإله نيهان (١٩٤٥-٢٠٢٠ ع)⁷ في مقدمة كتاب الملاحن ليس لدينا تاريخٌ محددٌ من مراحل حياة ابن دريد. لأن المصادر لا تقدم لنا سوى كلامٍ عامٍ يكتنف حياةً امتدت أكثر من تسعين سنة. "ونشأ بعُمان فأقام بها مدة، وطلب الأدب وعلم العربية، وكان أهله من رؤساء أهلها وذوي اليسار منهم، ثم صار إلى جزيرة ابن عمارة، ثم صار إلى فارس فسكنها مدة، ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات."⁸ قال ابن دريد: "كان أول من أسلم من آبائي حَمَامِي، وهو من سبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ حتى أدوه، وفي ذلك يقول قائلهم:

"وَقَيْنَا لِعَمْرٍو يَوْمَ عَمْرٍو كَأَنَّهُ *** طَرِيدٌ نَفْتَهُ مَذْحِجٌ وَالسَّكَاسِكُ"⁹

الذين عاشوا في مأرب من أرض اليمن ثم هاجروا واستقروا بعضهم في عمان ومنهم من يسميهم عمانيين، وجدت اختلاف في ولادته كما ورد في مقدمة كتاب الملاحن أن ابن دريد ولد عام مئتين وخمسة وعشرين، كما ذكره العَتَيْي من رواية العَتَيْي. يقول العَتَيْي: "إني أتيت إلى ابن دريد قبل وفاته وسمعتة يقول: "ولدت ليلة الجمعة في الربيع مئتين وخمسة وعشرين سنة"¹⁰. وأنا أخترت هذا يوم الولادة. وأيضاً واختلاف في نشأته يقال "إنه نشأ في البصرة"¹¹، لأن بغداد والبصرة كانتا في ذلك الوقت

أبراج العالم، وكانتا تنشران حضارتهما على العالم أجمع، ويقال "إنه نشأ في عمان"¹²، وحدث أبو بكر بن علي قال: "ابن دريد بصري المولد ونشأ بعمان وتنقل في جزائر البحر والبصرة والفارس، وطلب الأدب وعلم العربية، وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار، وورد بغداد بعد أن أسن فأقام بها إلى آخر عمره"¹³ بدأ تعليمه على يد عمه الحسن الذي كان يعتني بابن أخيه ويهتم بتربيته وتدريبه، ثم حصل على علم من علماء البصرة "ولما غلب الزنج على البصرة وقتلوا أكثر أهلها، هرب ابن دريد مع عمه الحسين إلى عمان وطن قومه الأزدي، وبقي بها اثني عشرة سنة. ثم قصد إلى خراسان ونال حظوة واليها عبد الله بن ميكال وابنه إسماعيل، ومدحهما بقصيدته المقصورة المشهورة، كما صنف لهما كتاب الجمهرة في اللغة"¹⁴ وفي نهاية المطاف انتقل في شيخوخته إلى بغداد مدينة الإسلام حيث مكث فيها حتى وفاته.

شيوخه

كان ابن دريد واحداً من تلاميذ العديد من الشيوخ البارزين والعلماء البارزين، الذين كانوا يتمتعون بامتياز كبير في توجيههم وتعليمهم وتدريبهم، لكنه كان على اتصال عميق بجماعة وكان لهم دور خاص في تكوين الشخصية العلمية لابن دريد، وهؤلاء العلماء الذين لازمهم ابن دريد خلال مسيرة حياته الأدبية والعلمية، وقد شهد لهم بتميزهم في القراءة، والنحو، واللغة النقاد والعلماء، فتأثر بهم ونقل عنهم بكل أمانة وإخلاص، فاستفاد، وأفادوهم. كما يقول السيد مصطفى السنوسي: في مقدمة الجمهرة عدد هؤلاء المشائخ ثمانية عشر¹⁵ ومن أهم شيوخه: عمه الحسين بن دريد. قال ابن دريد عن عمه "وكان عمي الحسين بن دريد يتولى تربيتي، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان يأكل معه، فدخل يوماً عمي وأبو عثمان يروني قصيدةً الحارث بن حلزة التي أولها: أذنتنا بينها أسماء فقال لي عمي: إذا حفظت هذه القصيدة وهبتُ لك كذا وكذا، ثم دعا المعلم ليأكل معه، فدخل إليه فأكلا وتحادثا بعد الأكل ساعة، فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بأسره، فخرج المعلم فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره على فوجدني قد حفظته، فدخل إلى عمي فأخبره فأعطاني ماكان وعدني به"¹⁶؛ وأبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندي، المتوفى سنة 257 هـ، وحدث أبو علي التنوخي قال: "حدثني جماعة أن ابن دريد قال كان أبو عثمان الأشناندي معلماً"¹⁷، وكارل بروكلمان يقول في كتابه تاريخ الأدب العربي: "كان الأشناندي تلميذ التوزي وشيخ ابن دريد، ولا يعرف من حياته سوى ما ذكر إلا أنه توفي سنة 288هـ"¹⁸؛ وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، المتوفى سنة (250هـ) أو (255هـ)، وقال ابن الأنباري في كتابه: "وطلب ابن دريد علم النحو عن أبي حاتم السجستاني"¹⁹؛ وعبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي؛ وأبو معاذ معروف بن حسان؛ والعلكي، أبو بشر أحمد بن عيسى؛ وأبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السككن بن سعيد الجرزموزي، المشهور بـ "ابن السكن" (294هـ-353هـ)، وهو من رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة. ومصنفاته صحيح ابن السكن والحروف في

معرفة الصحابة. توفي بمصر في المحرم من عام 353هـ²⁰؛ وعبد الأول بن مزيد وقيل مرثد أحد بني أنف الناقة²¹؛ ويزيد بن عمرو الغنوي²²؛ وأبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزبدي، المتوفى سنة 249 هـ، و"أن ابن دريد أخذ عنه اللغة العربية"²³؛ وأبو عبد الله محمد بن الحسين؛ وأبو هقان الشاعر، عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي العبدي، "أن ابن دريد أخذ عنه"²⁴؛ وأبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوزي، المتوفى سنة 233 هـ؛ وعقبة بن أبي الصهباء؛ ومحمد بن حماد البغدادي، المعروف بابن الخشني.

تلامذته

علم ابن دريد عمراً مديداً، وقراء عليه كثير من جماعة العلماء للغة العربية، وزاد عدد طلابه إلى ثلاثة وأربعين مع دخول في مقدمة الجمهرة. وزاده الشيخ عبد السلام هارون في مقدمة كتاب الاشتقاق في الموضوع إلى خمسة وأربعين، وبلغ السيد مصطفى السنوسي في كتابه ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبي، ستين وأربع، وهم: "أبو الحسين على بن أحمد غلام ابن دريد؛ وأبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكال، المتوفى سنة 362 هـ؛ أبو سعيد الحسن بن عبد السلام السيرافي، المتوفى سنة 367 هـ²⁵؛ وأبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، المتوفى سنة 356 هـ²⁶؛ وأبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني، المتوفى سنة 356 هـ؛ وأبو الحسن على بن عيسى الرماني النحوي، المتوفى سنة 384 هـ؛ وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، المتوفى سنة 370 هـ؛ وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، المتوفى سنة 339 هـ؛ وأبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة 382 هـ؛ وأبو عمران موسى بن رباح بن عيسى؛ وعلى بن أحمد بن الصباح؛ وأبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، المتوفى سنة 384 هـ؛ وأبو محمد عبيد الله بن محمد بن الحرادي الكاتب؛ والأمير أبو الحسن أحمد بن محمد المكتفي بالله؛ وأبو مسلم محمد بن أحمد بن علي بن الحسين الكاتب، المتوفى سنة 399 هـ؛ وأبو محمد على بن عبد الله بن المغيرة الجوهرى؛ وأبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني الحريري، المتوفى سنة 390 هـ؛ وسهل بن أحمد الدياجي؛ وأحمد بن منصور اليشكري؛ وأبو حفص عمر بن حفص، المعروف بابن شاهين الواعظ؛ وأبو علي محمد بن علي بن مقله الكاتب، المتوفى سنة 328 هـ؛ وأبو بكر محمد بن بكر البسطامي؛ وأبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، المتوفى سنة 370 هـ؛ وأبو الحسن على بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة 384 هـ؛ وأبو الفتح عبيد الله بن أحمد بن محمد، المعروف بجخجخ؛ وأبو علي الفضل بن شاذان؛ وأبو العلاء أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن شقير البغدادي؛ وأبو العباس أحمد بن علي القاشاني اللغوي؛ وأبو إسحاق إبراهيم بن الفضل الهاشمي اللغوي؛ وأبو الصقر أحمد بن فضل بن شبابه الكاتب الهمداني، المتوفى سنة 350 هـ؛ وأبو بكر محمد بن علي، المعروف بمبرمان، النحوي المتوفى سنة 345 هـ؛ وأبو عبد الله بن زكريا؛ وأبو بكر أحمد بن محمد بن الفضل الخراز؛ وأبو بكر محمد بن السري السراج، المتوفى سنة 316 هـ؛ وأبو الحسن على بن

محمد الكاتب؛ وأبو عمر محمد بن العباس؛ وعلى بن مهدي؛ وأبو الحسين محمد بن أحمد الإخباري؛ وأبو علي محمد بن الحسن بن المظفر، الحاتمي، المتوفى سنة 388 هـ؛ وأبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، المتوفى سنة 377 هـ؛ وأبو الحسن علي بن أحمد الدريدي، وكان وراقاً له، وإليه صارت كتبه بعد موته؛ وابن خير الوراق؛ وأبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن الجنيد، وكان وراقاً له؛ وأبو القاسم عمر بن محمد بن سيف؛ ومحمد بن عمران بن موسى الجوري، المتوفى سنة 359 هـ؛ وأبو الحسن بن الأزرقي الانباري التنوخي؛ وأبو الله محمد بن المعلى الأزدي؛ وأبو عبد الله محمد بن أحمد الكاتب البصري، المنبوز بالمفجّع، المتوفى سنة 327 هـ؛ وأبو الحسن محمد بن يوسف الناقط؛ وأبو الفضل محمد بن عبد الله؛ وأبو القاسم إسماعيل بن سعيد بن إسماعيل بن سويد الشاهد؛ وأبو الحسن بن مطرف؛ وأبو الحسن محمد بن محمد بن مقلّة الوزير؛ وأبو بكر هبة الله بن الحسن الدلال؛ وأبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي؛ وأبو بكر محمد، المتوفى سنة 370 هـ؛ وأبو عثمان سعيد، المتوفى سنة 390 أو 391 هـ؛ وأبو أسامة جنادة بن محمد بن جنادة؛ وأبو بكر أحمد بن محمد بن الجراح؛ وأبو الطيب محمد بن أحمد بن خلف بن خاقان؛ والقاضي أبو محمد عبد الله بن علي بن أيوب؛ وأبو الفتح المراغي اللغوي؛ وأبو الطيب المتني؛ وأبو محمد عبد الله بن محمد الإيجي النحوي الأديب، روى عنه الكثير ووصف بصاحب ابن دريد²⁷.

مكانته العلمية

كان ابن دريد عالماً وأديباً كبيراً، شاعراً ولغوياً عظيماً وقائداً للعلماء وقادراً على حفظ اللغة والنسب. نال ابن دريد شهرة واسعة بعلمه وفكره، وبلغ مكانة عالية في اللغة العربية. إذن هذه هي الحجة في اللغة. وهذا ما قاله عنه أبو الطيب اللغوي: بلغه علم لغة البصريين، وكان الأكثر حفظاً، والأكثر علماً، والأكثر قدرة في الشعر. وروي عن أسدي قال: قيل: "إنّ أبا بكر بن دريد أعلم الشعراء وأعلم العلماء"²⁸. ورغم مكانة ابن دريد العلمية، لم يكن بمؤمن من لغات معاصريه، حتى لمفاجأة بعض المؤرخين ومنهم ياقوت الحموي، فيقول: "وعجيبة أن يتمكن الرجل من علمه كل التمكن ثم لا يسلم مع ذلك من الألسن"²⁹. كما أشار ابن جني في كتابه الخصائص إلى أن ابن دريد لم يكن يعرف علم التشكل. وفيما يخص كتاب الجماهرة غموض في تصنيفه، وهناك فساد يبرر صاحبه لجهله بالأمر. ورد السيوطي على هذه الشبهات، فأجاب الأزهرى، فقلت: لا سمح الله فهو (ابن دريد) أقبح مما اتهم به، ومن رأى الجماهرة رأى بحثه في روايته الكتاب يعرف هذا ولا يقبل التهم. قال ابن دريد هجاه؛ لأن بينهما معارضة شديدة:

"لو أنزل الوحي على نبطويه *** لكان ذاك الوحي سخطا عليه"

"وشاعر يدعى بنصف اسمه *** مستأهل للصفع في إخدعيه"

"أحرقه الله بنصف اسمه *** وصير الباقي صراخا عليه"

قال أبو طيب اللغوي في مراتب اللغويين: "ابن دريد الذي انتهى إليه علم لغة البصريين، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماء، وأقدرهم على شعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحماه في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد." ³⁰ هذا العنوان تم تطبيقه على أهل العصر: "أعلم الشعراء وأشعر العلماء" ³¹ يقول المسعودي: من أتقن الشعر واللغة في زماننا، بلغ منزلة الخليل بن أحمد، وتحدث بلغة لم يرد ذكرها في كتب الآباء. وكان يذهب إلى الشعر من كل المذاهب، يقول عنه أبو الطيب عالم لغوي: هو الذي نقل العلم لأهل البصرة، وهو أذكي الناس وأعلمهم وأقدرهم شعراً. وتذكر الكتب حكايات كثيرة عن معرفته الواسعة وقوة ذاكرته وجودة شعره، وقد دعا أبو عثمان أكلت معه وذات يوم جاء عبي الحسن وأبو عثمان وتلا لي قصيدة إمام، وكان حارث بن هلزة أولها:

أذنتنا ببنيها أسماء *** رب ثاويل منه الثواء

قال لي عبي: إذا تذكرت هذه القصيدة، فسأعطيك إياها. حتى عاد المعلم حفظت ديوان حارث بن هلزة كله، ثم خرج المعلم واكتشفه وأثنى عليه ولبسه على، رأيت أنني حفظته فذهبوا إليه. أخبره عبي أنه أعطاني ما وعدني به. وإذا كان في هذا الخبر مبالغة، فقد أثنى كثير من العلماء على علمه حتى لا مجال للشك في غزارة علمه وقوة ذاكرته، ويركضون للحفظ. ويقول أبو الطيب اللغوي "ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، فكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد في صدر خلف الأحمر وابن دريد" ³² كان ابن دريد من عظماء اللغويين والشعراء، ومن ذلك قصيدته المقصورة المشهورة. ومما جاء في المقصورة:

"يا ظبية أشبه شيءٍ بالمها *** ترعى الخزامى بين أشجار النقا"
 "إما ترعى رأسي حاكمي لونه *** طرة صبح تحت أذيال الدجى"
 "واشتعل المبيض في مسوده *** مثل اشتعال النار في جزل الغضا"
 "فكان كالليل المهيم حل في *** أرجائه ضوء صبا فأنجلي" ³³

وهو صاحب الأرجوزة التي قال فيها:

"من لم تُفده عبراً أيامه *** قد صار من أربابه نَقَطَوْنِه"
 "أحرقه الله ينصف اسمه *** وصير الباقي صراخاً عليه" ³⁴

وروي عنه أنه كان ذا ذاكرة واسعة، وذاكرة قوية، وتليت عنه مجموعات شعرية عربية، وحفظها لأول مرة، وكان يحفظ ديوان الحارث كله. ويمكنه أن يستغل ذاكرته في ملء كتبه بكلمات غريبة، ولا سيما يُعرف باسم النادر، وهذا واضح في كتبه: "الاشتقاق" و "الملاحن" ³⁵. أنه لم يسلم من لغة الناس، حيث اتهم بشرب الخمر، واعتبر بعض اللغويين تقليده ضعيفاً. الأزهرى في مقدمة كتابه "تهذيب اللغة" يترجمه لابن دريد فيقول: لا أصل، وما ليس في كلام العرب يدخل في كلامهم: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة أتى إلى البيت أكثر من مرة. ثم رأيت يروي من إسناد أبي

حاتم والريشي وعبد الرحمن بن أصمعي. لقد تصفحت كتابه "الجمهرة" ولكني لم أجد فيه أي دليل على بصيرة، ووجدت العديد من الحروف التي أزالها من كتابه. ونرى في هذا الرواية أن الأزهري لم يكن يميل إلى ابن دريد، وكذلك ما قاله عنه النحو المعروف النفثوية لمصلحته "وهو"³⁶. وهجا النفثاوية ابن دريد وقال:

"ابن دريد بقرة *** وفيه عي وشره"

"ويدعي من حمقه *** وضع كتاب الجمهرة"

"وهو كتاب العين *** إلا أنه قد غيره"

وقد ثبت في علم الحديث أنه لا يوجد غيبة على الأقران عند البعض³⁷. أما اتهام ابن جني لابن دريد بأن ابن دريد لا يعرف علم التشكل. فأجاب السيوطي: الغرض من الجرح تفاقمه، وذكر هذه الأمور في أماكنها، ولهذا قال: أعتذر له، ومن استخدمه لأنه لا يعلم، أي: أن ابن دريد قصير الباع في التصريف وإن كان طويل الباع في اللغة.

أعماله الأدبية

منذ أن أشرقت الشمس التأليف في العالم العربي، جر ابن دريد كوكبه إلى مجرة هذه الأقدار والسعادة والثروة في ترتيب الخاص. يعد ابن دريد من أبرز اللغويين ومصنفي المعجمات، ترك ابن دريد تراثاً لغوياً وأدبياً غنياً لأعماله، وهي كثيرة ومتنوعة تنوع ثقافته. صنف ابن دريد أكثر من عشرين مصنفاً، ضاع قسم منها، ووصل بعضها، ووصلنا من عدة أعمال الأدبية في مجالات المختلفة: بالشعر واللغة والأنساب وعلوم القرآن. جعلته هذه الكتب مشهوراً جداً أوجبه إلى قصر الخليفة كما نعلم، حيث رتب له الخليفة معاشاً شهرياً كان يتقاضاه حتى وفاته. فلم يصل وما هو ثبت ما أشارت إليه مصادر ترجمته، أو أشار هو إلى بعضها في ثنايا كتبه، وقد طبع منها ما يلي:

كتاب الاشتقاق

عُرف هذا الكتاب باسم "الاشتقاق" وسماه الأزهري في كتابه التهذيب اللغة، أو الكتاب المشتق من أسماء القبائل كما يسميها ياقوت الحموي، ولعله أخذ هذه التسمية من مقدمة ابن دريد إذ يقول: "فشرحنا في كتابنا هذا أسماء القبائل والعماير، يذكر ابن دريد سبب إنشاء هذا الكتاب وهو أن قوماً كان يطعن على اللسان العربي وينسب أهله إلى التسمية بما لا أصل له في لغتهم، يدخل كتاب "كتاب الاشتقاق" في دائرة اهتمام المتخصصين في تفسير أسماء قبائل العرب وترجمة أعلام كل قبيلة، وذكر فيه الاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل والرجال، مذاهب العرب في تسمية أبنائها، وافتحه بذكر اشتقاق اسم النبي الكريم ﷺ، ثم بيان أنساب القبائل العرب وبطونها وأفخاذهم وهم متفوقون على بعضهم البعض. رأى ابن دريد وبدافع الحمية والغيرة على اللغة العربية أن يرد على بعض افتراءاته ضد العرب. رأى أن يبين لهؤلاء مذاهب العرب في تسمية أبنائها وعبيدها (كلباً) و (كليباً) وما أشبه ذلك

فطعنوا من حيث لا يجب الطعن. على الشعوبية بعض مطاعنهم على العرب، وأيضاً سموه تفاقلاً به للأبناء نحو نائل، وائل، ناج، مدارك، سالم، سليم، سعيد مسعدة وأسعد. ومنها ما سمي بالسباع ترهيباً لأعدائهم نحو: أسد، ليث، ذئب، ضرغام. وبسط القول في المادة اللغوية، التي اشتقت منها هذه الأسماء. طبع اول مرة باعثناء ويستون فيلد يونيو 1854م، ثم تحريره بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون بالقاهرة 1958م.

كتاب الملاحن

هذا كتاب صغير الحجم وكبير الفائدة، الملاحن كتاب تعليمي، وهدية كريمة إلى أهل اللغة العربية، ومتمفرد في فصله وأسلوبه صاغه ابن دريد، على هذا الأسلوب ليظهر أسرار اللغة العربية بطريقة تثير الفكر. إذ استعمل ما يعرف بالتورية والكناية أما التورية فهي من المحسنات المعنوية. وهنا أبدع ابن دريد، لأن هذين الفنيين يدلان على صفاء الطبع، والقدرة على اللعب بأساليب الكلام. أما الكلمة (الملاحن) فهي جمع كلمة (ملاحنة) وهي فعلها لاحن يلاحن ملاحنة، و (الملاحن) هو أسلوب الخطاب الذي يتعمد العرب استعماله إذا أرادوا الغموض، أي التعبير عن الخطاب على خلافه مقتضى الظاهر. قدّم ابن دريد لكتابه بمقدمة وجيزة بيّن فيها سبب تأليفه الكتاب، أي إنه قدّم سبباً دينياً شرعياً لتأليفه، وحدثنا ابن دريد نفسه في مقدمته للملاحن، وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم هذا الأسلوب في بعض كلامه، كقول النبي عليه السلام لعجوز: "إن الجنة لا يدخلها عجوز" يريد أنهن يعدن شواباً. في هذا الكتاب عبارة عن ألفاظ أريد بها غير ظاهر اللفظ تقول: (والله ما قتلت، وما جرحت ولا طعنت). فالقتل - المزح، يقال: قتلت الخمر إلا مزجتها. مثل كما قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

"إِنَّ الَّتِي نَأَوَّلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا *** فُتِلْتُ، فُتِلْتُ فَهَاتِمَا لَمْ تُفْتَلِ"

كما جاء في القرآن: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ"³⁸. والجرح هو الكسب جرح الشيء يجرح جرحاً كسبه. ولقد سميت أعضاء الإنسان جوارح لأنها تكسب وتتصرف فالجوارح هي الكواسب. فالتورية أن يذكر المتكلم كلمة واحدة له معنيان، قريب ظاهر ليس مقصود، ويبعد خفي هو المقصود. أما الكناية فهي من علم البيان، وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى. وقال أبو نواس³⁹ في الخمر:

"ولما شربناها ودب دبيبها *** إلى موطن الأسرار، قلت لها: قفي"⁴⁰

فالكناية في هذا البيت وهي موطن الأسرار انصرف عن التعبير بالقلب أو الدماغ، هذا التعبير الحقيقي الصريح إلى ما هو أملح في النفس وهو موطن الأسرار. وأول مرة نشر هذا الكتاب المستشرق وليم رايت في ليندن عام 1859م، ولم أطلع على هذه النشرة.

كتاب المجتني

فهو من أبرز تصانيف لابن دريد، ويشتمل على فنون شتى من الإخبارية الوثائقية، والكلمات الجميلة، والجوامع الكلم، والحكمة المحدودة، والأحاديث النبوية المختارة. وفيه أحضر أحاديث النبي ﷺ التي تجاوزت الأدب والبلاغة واشتهرت بمجموعاتها لدرجة أن هذه الأقوال كانت تضرب بها الأمثال. وشرح الكاتب ومعانيه ومتطلباته، ثم أثبتته بكلمات الشعراء والأدباء. ثم ذكر ما حفظ من كلام خلفاء الراشدين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب رضوان الله أجمعين، وغيرهم من الصحابة الكرام. بعد هذا نقل ما حفظ من أقوال الحكماء، والأدباء، وكلام الشعراء. ويقول ابن دريد أننا أطلقنا عليه اسم "كتاب المجتني" لأجتنائنا فيه ظرائف الآثار، كما تجتني أطياب الثمار. وقد افتتح هذا الكتاب بالكلام الذي جاء عن النبي ﷺ غير ملوث بالحزن، فقال النبي ﷺ: "تَرَكُ الشَّرَّ صَدَقَةٌ"⁴¹. يريد من ينبذ الشر ويؤذي الناس كأنه صدقهم أي أن فضيلة ترك الشر هي فضيلة الصدقة. قال النبي ﷺ: "أَلَيْدُ الْعُلْبَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"⁴². لأن اليد العليا هي يد المانح، واليد السفلى هي يد المتسول، وما يُعطى له الأولوية على المتوسط، فالذي يعطي الأفضلية أفضل من يد المتسول، الذي يعطي الأفضلية. قال ﷺ: "فضلُ العلم خَيْرٌ من فضل العبادة"⁴³. الجهلاء هم الذين يعملون بجد لأن العالم يعرف ما يأتي ويختفي. فقد نشر هذا الكتاب أول مرة المستشرق كرنكو في حيدرآباد 1342هـ.

كتاب السرج واللجام

كتاب السرج واللجام من الرسائل اللغوية التي صنفها ابن دريد، يدخل كتاب السرج واللجام في دائرة اهتمام المتخصصين في مجال اللغة العربية بشكل خاص والباحثين في الموضوعات، حيث يدخل كتاب السرج واللجام ضمن نطاق تخصص علوم اللغة، ووثيق الصلة بالتخصصات الأخرى مثل الشعر، والقواعد اللغوية، والأدب وغير ذلك. هذا الكتاب "السراج واللجام" يدل على ما اتصف به ابن دريد، السرج "رحل الدابة، والجمع سروج" ما يوضع على ظهر الدابة للركوب والجمع أرحل ورجال. واللجام "الحديدة في فم الفرس"، ثم سموها مع ما يتصل بها من سيور وآلة لجاما، والجمع أجممة، ولجْمُ ولجم.

كتاب الفوائد والأخبار

ومن أبرز ما جاء في هذا الكتاب خصائص يوم الجمعة، أن هذا اليوم هو عيد الأمة، فقد بلغ عدد الفوائد التي بثها ابن دريد في هذه الرسالة. هذه رسالة موجودة ضمن كتاب "نوادير الرسائل"، عبارة عن أخبار وأحاديث حدثها ابن دريد.

المقصورة

هي قصيدة للشاعر ابن دريد يمدح بها ابني ميكال، والمقصورة هذه نوع شعري زوي كل بيت فيها ألف مقصورة ويبلغ أبياتها 250 بيتاً، وحظيت بشهرة واسعة بين الأدباء والمثقفين، بنيت المقصورة على بحر

الرجز وجعل حرف الروي فيها ألفاً مقصورة، وهذا منتهى الفن ونسير مع هذه الأبيات وكأننا ننتخي طريقاً واسعاً، ربح الأفاق. يقول مسعودي وشعره أكثر من أن نحصيه. وقال ابن دريد فيها:

"أَمَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ 000 طَيْرٌ صُبِحَ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى"
 "وَاشْتَعَلَ الْمَبْيُضُ فِي مُسَوِّدِهِ 000 مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزْلِ الْعَضَى"
 "وَالنَّاسُ كَالنَّبْتِ فَمِنْهُ رَائِقٌ 000 غَضٌّ نَضِيرٌ عُوْدِهِ مُرُّ الْجَنَى"
 "وَمِنْهُ مَا تَفْتَحِمُ الْعَيْنُ، فَإِنَّ 000 دُقَّتْ جَنَاهُ إِنْسَاعَ عَذْبَا فِي اللّٰهَى"
 "وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ 000 وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمْرَعَنِي"
 "وَلَوْلَقْتِي مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمْتُ 000 يَدَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، لَا مَا إِفْتَنِي"
 "وَأِنَّمَا الْمُرءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ 000 فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى"

المقصود والمدود

يعد ابن دريد من أوائل الناظمين للمقصورات، ولم يكن أولهم من حيث الزمن، ولقد نهج هذا النهج قبل ابن دريد معاصره أبو المقاتل نصر بن نصير الحلواني في عام 282هـ، أما مقصورة ابن دريد، فقد نظمت في الفترة التي أقام فيها عالماً بالأهواز. وهو في الحقيقة عبارة عن القصيدة الهمزية المكونة من خمسين بيتاً، أو أكثر بقليل، والمنشورة في صدر ديوانه، والمجموع فيها، في كل بيت، بين المقصور والمدود. واشتمل هذا الكتاب القيم النفيس على أبواب عدة. وقد سماه بروكلمان المقصورة الكبرى.

تعليق من أمالي

هذه المحاضرات كانت تسمي "الأمالي" وهي جمع "إملاء" أو جمع "أملية" والتأليف في هذا الفن هو أن يقعد العالم وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس، ولقد كانت له حلقات درس ومجالس علم، يمارس فيها مهنته المحببة إلى نفسه، فالأمالي كل ما يمليه شيخ على طلابه في العلوم والمعارف المختلفة، من فقه وتفسير وحديث نبوي ولغة ونحو وادب. لم يقف شعر ابن دريد حائلاً بينه وبين النثر، وكثير من تلاميذ ابن دريد، قد قيدوا الكثير من هذه "الأمالي" فتلميذه أبو علي القالي قد أصطحب معه في رحلته إلى المغرب فالأندلس قسماً كبيراً من هذه الأمالي، حتى لقد بلغت الأخبار التي رواها القالي عن أستاذه ابن دريد أكثر من سبعمئة خبر، وتلميذ آخر لابن دريد من غير عصره، هو جلال الدين السيوطي، يلخص أمالي ابن دريد في كتاب يسميه "قطف الوريد"⁴⁴. ويعد بروكلمان⁴⁵ من بين كتب ابن دريد كتاباً اسمه "الأخبار المنثورة"، وأمالي لابن دريد من آثاره المفقودة. وما هو موجود بين أيدينا هو تعليق من أمالي ابن دريد جاء فيه، ومحقق هذا الكتاب السيد مصطفى السنوسي مدرس اللغة العربية بجامعة الكويت، الطبعة الأولى 1983م.

المطر والسحاب

وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع، عدد الصفحات 16 فقط.

خلاصة البحث

كان ابن دريد إمام اللغة والأدب والشعر في عصره. وصنّفه أكثر من عشرين مصنفاً وذكرها عن الشعر واللغة والأنساب وعلوم القرآن. جعلته هذه الكتب مشهوراً جداً أوجبت له إلى قصر الخليفة كما نعلم، حيث رتب له الخليفة معاشاً شهرياً كان يتقاضاه حتى وفاته. فلم يصل وما هو ثبت ما أشارت إليه مصادر ترجمته، أو أشار هو إلى بعضها في ثنانيا كتبه.

References

- ¹ Yaqūt al-Hamawī al-Rūmī, Mu'jam-ul-Udbā' Irshad-ul-Areeb Ila Marifah al-Adib, (Beirūt: Dar al-Ghārb al-Islami, 1993), 2489.
- ² Abd ul-Ghani Abdullah, Mu'jam-ul-Muajim al-Arbia, (Beirūt: Dar ul-Jil, n.d), I.II.
- ³ Abū al-Hassn Ali Ibn Yūsaf al-Qafti, Almuhammadūn Min al-Shuarā wa Asharihim, (Baris: kullia tul Adib wal-Alom ul Insania, Jamia, 1970), 20I.
- ⁴ Al-Sharīf al-Murtada: Abū al-Qasim Ali Ibn al-Hussain Ibn Musa Ibn al-Musūi, Aalim shieiu Min Baghdad Iraq, (Beirūt: Tarikh al-Baghdad, Alkhatib Albaghdadi, n.d), 7:286.
- ⁵ Al-Sharīf al-Murtada: Abū al-Qasim Ali Ibn al-Hussain Ibn Musa Ibn al- Musūi, Ghurur al-Fawāyid wa-Durar al-Qalāyid, aljuz' al-Thaani, (Iran: Dar ul- Ahya' al-Kutab al-Arabiah, n.d), I48.
- ⁶ Abū Ishaq Muhammad al-Muatasim Billah Ibn Hārūn al-Rashid Ibn al-Mahdi Ibn al-Mansūr., (Beirūt: Fi al-Taarikh al-Abaasi wal-Undalusi, al-Daktur Ahmad Ibn Mukhtar al-Abaadi, Dar al-Nahdatu al-Arabia liltibaa walnashr, 1971), II7.
- ⁷ Al-Daktur Abd ul-Ilah Ahmad Nabhan, Albahith Fi Zimah Allah, Jaridat ul-Urubah, 29 October 2020).
- ⁸ Yaqūt al-Hāmawī al-Rūmī, Mu'jam-ul-Udbā' Irshad-ul-Areeb Ila Marifah al-Adib, 2490.
- ⁹ Al-Hafiz Abū Bakr Ibn Ali al-Khatīb al-Baghdadī, Tarīkh Baghdad aū Madinat-ul-Ilislam, Aljuz al-Thaani, (Beirūt: Dar al-Kutab al-Ilmiah, n.d),I95.
- ¹⁰ Ibn-e-Dūrid, al-Imam Abū Bakr Muhammad Ibn al-Hasan Ibn Dūraid al-Azdi: Almelahen, Tashih wataeliq watadhyil, Abū Ishaq Ibraheem Atfiash al-Jazayiri, (Beirūt: Dar al-Kutab al-Ilmiah, 1987), I.II.
- ¹¹ Ibn-e-khalkan: Wafayat ul-Aeyan, I:498.
- ¹² Almārzbanī: Māejam al-Shuara, Tahqiq Abd-ul-Sattar Frraj, (Mesar: 1960), 469.
- ¹³ Yaqūt al-Hamawī al-Rūmī, Mu'jam-ul-Udbā' Irshad-ul-Areeb Ila Marifah al-Adib: 2490.
- ¹⁴ Karal Brūkalmān, Tarikh-al-Adab al-Arbi, (Beirūt: Dar Almaearif, n.d), I68.
- ¹⁵ Yaqūt al-Hamawī al-Rūmī, Mu'jam-ul-Udbā' Irshad-ul-Areeb Ila Marifah al-Adib: I8.I29.
- ¹⁶ Mohsin Ibn Ali al-Tanūkhi, Nashwar al-Mūhadarah Wa al-Akhbar al-Mūhadarah, (Beirūt: Dar Sadir, n.d), 294.
- ¹⁷ Al-Khatib al-Baghdadi Ahmad Ibn Ali Ibn Thabit, Tarikh Baghdad: 196.
- ¹⁸ Karal Brūkalmān, Tarikh-al-Adab al-Arbi: I68.
- ¹⁹ Abū al-Barkat Kamal-ul-Din Abd-ur-al-Rahman Ibn Muhammad al-Anbari, Nuzhat ul-Ulbaa Fi Tabaqat ul-Udabaa, (Beirūt: Dar ul-Fikar al-Arbi, n.d), 225.
- ²⁰ Aldhahabi: Sayyar Alam al-Nablaa, (Beirūt: Bait-ul-Fikar al-Duwliah,n.d), II7.
- ²¹ Wa Ruviyaa Anhu Fi al-Mujtanaa.

- ²² Zakara Ibn Dūraid Fi Kitabehi Al-Jamharah.
- ²³ Ibn al-Nadim, Al-Fahrist: 67.
- ²⁴ Ibn al-Nadim, Al-Fahrist: 67.
- ²⁵ Qaala Abū al-Barkat Kamal-ul-Din Abd-ur-al-Rahman Ibn Muhammad al-Anbari, Nuzhat ul-Ulbaa Fi Tabaqat ul-Udabaa: Akhadha Anhu Alsiyrafy.
- ²⁶ Qaala Al-Imam Taqi al-Qiy al-Asdi al-Shaafei: Wa Akhadha Anhu.
- ²⁷ Al-Khatib al-Baghdadi Ahmad Ibn Ali Ibn Thabit, Tarikh Baghdad: 1:323; Aldhabibi: Sayyar Alam al-Nablaa: 5:313.
- ²⁸ Abū al-Tayaib allughuwi: Muratib ul-Nahwiyn, Tahqiq: Muhammad Abū al-Fazal Ibrahim, (Mesr: Dar Nahdat, 1974), 135,136.
- ²⁹ Yaqūt al-Hamawī al-Rūmī, Mu'jam-ul-Udbā' Irshad-ul-Areeb Ila Marifah al-Adib: 18:142,143.
- ³⁰ Yaqūt al-Hamawī al-Rūmī, Mu'jam-ul-Udbā' Irshad-ul-Areeb Ila Marifah al-Adib, 18:128.
- ³¹ Abū al-Tayaib allughuwi: Muratib ul-Nahwiyn: 274.
- ³² Dr. Mūhammad Hasan Abd-ul-Aziz: Masader ul-Bahith al-Lughawi Fi al-Aswat Wa al-Sarf Wa al-Nahv Wa al-Mu'jam Wa Fiqah al-Lughah Ma'a Namadhij sharahah: 166.
- ³³ <http://vb.aljremh.com/thred20087>
- ³⁴ <http://ar.wikipedia.org>
- ³⁵ Abd ul-Ghani Abdullah, Mu'jam-ul-Muzajim al-Arbia: III.
- ³⁶ Jalal-ul-Din Abd-ur-Rahman Alsuyuti: Bughyat ul-Wuaat Fi Tabaqat ul-Lughawiyn Walnuhat, 1:861.
- ³⁷ Jalal-ul-Din Abd-ur-Rahman Alsuyuti: Almuzahar, Tahqiq Jad al-Mawlaa Wakhrin (Beirūt: Dar al-turath, n.d), 1:94,95.
- ³⁸ Al-Quran al-Hakeem, Sūrat ul-Anaam Raqam al-Ayat: 60.
- ³⁹ Al-Husain Ibn Hani (146h - 198h).
- ⁴⁰ Al-Balaghat- ul-Wadiah: 127.
- ⁴¹ Bahar ul-Anwar: 160.
- ⁴² Sahih al-Bukhari, Raqm ul-Hadith: 1427.
- ⁴³ Meshkat ul-Masabih, Raqm ul-Hadith: 255.
- ⁴⁴ Kashf ul-Zunūn, 1:162.
- ⁴⁵ Karal Brūkalmān, Mustashriq al-Māni (1285 h - 1375h).